منهج التفسير الموضوعي في أبحاث التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم

د. مرهف عبد الجبار سقا

بحث مقدم لمؤتمر التفسير الموضوعي للقرآن الكريم

واقع وآفاق

الذي تنظمه كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة

الأحد والاثنين 11-12 جمادى الأولى 1431هـ الموافق 25-26/4/2010

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإنه لما كان القرآن الكريم المصدر الأول لتشريع وعقيدة وعلوم الإسلام فإن العناية به ركن من أركان الحضارة الإسلامية، وأساس من أسس النهضة العلمية المرتقبة لهذه الأمة، ولذلك فقد أولت الأمة لهذا الكتاب الرباني عناية فائقة وبينته بأنواع من التبيان العلمي، فكان منها اللغوي، وكان منها الفقهي، وكان منها الكلامي، وكان منها الأثري...الخ، وها هي اليوم تتجه جهود الأمة إلى بيان لم يكن المتقدمون في غفلة عنه، ولكن حتمته ظروف الأمة وأوضاعها المتوترة علمياً وثقافياً وسياسياً ألا وهو التفسير والإعجاز العلمي.

وأقصد بالتفسير العلمي: هو بيان معاني القرآن الكريم باستنباط مختلف العلوم الكونية والنفسية العقلية، أو بتوظيف العلوم التطبيقية والبحثية والمعارف التجريبية الصحيحة بقدر الطاقة البشرية وفق القواعد الشرعية المقررة[1]، أما الإعجاز العلمي في القرآن فهو: سبق القرآن الكريم في الدلالة إلى حقائق في شتى مناحي العلم قبل اكتشاف العلم لها واستقراره على اعتمادها[2].

وقد انتهج العلماء لذلك عدة طرق في التفسير، ومن أهمها وأوسعها طريقة التفسير الموضوعي، وتتجلى أهمية التفسير الموضوعي في اتجاه التفسير والإعجاز العلمي للقرآن في كون هذه الطريقة تعطي تصوراً كلياً متكاملاً للقضايا الكونية في القرآن الكريم كله، وتربط بين الآيات وتوضح المجملات وتحل المشكلات وتوضح المبهمات إما من باب تفسير آية بآية، أو من باب تكميل آية بآية أو من باب تقييد آية بآية..الخ.

ويتركز موضوع البحث حول المعالم الأساسية التي ينبغي على المفسر اتباعها في التفسير العلمي للقرآن بطريقة التفسير الموضوعي وتوضيح منهج التعمل مع مسائل خاصة بالتفسير والإعجاز العلمي في القرآن ، وتقديم نموذج تطبيقي لمنهج التفسير الموضوعي، وقد جعلت البحث بالإضافة إلى هذه المقدمة – والتي نحن بصددها – في ثلاثة مباحث، ثم خاتمة.

أما المبحث الأول: مناهج الكاتبين عرض ونقد: أذكر فيه أبرز ما يقع فيه الكاتبون في التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم من أخطاء عند تناولهم ذلك بطريقة التفسير الموضوعي.

---

[1] – د. مرهف عبد الجبارسقا، منهج التفسير العلمي وتطبيقاته في سورة النحل، صـــ 39، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن من جامعة أم درمان عام 2008، مطبوع على الحاسوب.

[2] – المصدر السابق صـــ 58.

المبحث الثاني: منهج التفسير الموضوعي في قضايا التفسير والإعجاز العلمي: أذكر فيه المراحل والقواعد الأساسية التي ينبغي اتباعها في منهجية الكتابة في التفسير الموضوعي لدراسة القضايا الكونية في القرآن الكريم، وأعرض فيه للمسائل الأساسية التي تلزم في التفسير العلمي بهذه الطريقة كمنهج استخدام المعلومات الكونية في التفسير مثلاً.

المبحث الثالث: أعرض فيه نموذجاً تطبيقياً لما تقدم من القواعد الأساسية المذكورة في المنهج النظري للتفسير العلمي بطريقة التفسير الموضوعي.

الخاتمة: أذكر فيها أهم النتائج والتوصيات.

وأخيراً أتقدم بالشكر لجامعة الشارقة والقائمين عليها وعلى تنظيم هذا المؤتمر المبارك، هذا: وأسأل الله تعالى التوفيق للحق في القول والعمل، وأن يلهمنا رشدنا، ويغفر لنا أخطاءنا، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: مناهج الكاتبين عرض ونقد

لقد نشطت حركة التفسير الموضوعي للقرآن الكريمة في أوائل القرن الرابع عشر الهجري عندما انتفض بعض علماء الأمة يردون دعاوى تعارض الدين مع العلم ولزوم ترك القرآن واعتبار الحضارة الوافدة من الغرب هي الحل الذي سينقذ المسلمين من وهدة التخلف لينقلها إلى منارة التقدم، فألف السيد محمود شكري الآلوسي(1273 ــ 1341هــ) – حفيد المفسر أبي الثناء – كتابه: (ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيأة الجديدة القويمة البرهان) مسانداً فيه قول فيثاغورث بأن حركة الأرض تابعة للشمس، وأن الأرض كباقي الكواكب السيارة معلقة بفعل الجاذبية، ورأى أن هذا القول لا يتعارض مع القرآن والسنة وإلا لما التفت إليه 1، فتناول الآيات المتعلقة بذلك في كل سورة سورة.

ثم ألف الشيخ محمد بخيت المطيعي (1854 – 1935م)، (تنبيه العقول الإنسانية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية العمرانية)2 الذي ألفه في الرد على دعوى مستشرق يطعن في القرآن، فجعل الشيخ المطيعي رحمه الله كتابه على موضوعات قرآنية، فيذكر الآيات القرآنية ويفسرها تفسيرا بارعاً، ثم يدعم تفسيره بالمعارف المختلفة ويشرح القضية الموضوعة ويذكر الخلاف ويفند الآراء ويدحض آراء المستشرقين، فتكلم بهذه الطريقة عن خلق الإنسان، وعن السموات والأرض وتعدد الأقمار والشموس..الخ.

وبمثل ذلك قام الشيخ محمد وفا الأميري في كتابه (الإشارات العلمية في القرآن الكريم) 3، وقد تميزت مؤلفات العلامة الآلوسي والشيخ المطيعي والشيخ الأميري بحسن الصياغة وقوة التفسير والاستدلال، بل ويتميز كتاب العلامة الآلوسي بترتيبه المعتبر حسب السور، إلا أن كتاب الشيخ الأميري أسهب مؤلفه بالمعلومات الكونية حتى طغت على تفسير الآيات بل غيبها، مع تكرار لبعضها في مواطن مختلفة.

ثم توالت المؤلفات في هذا الاتجاه، وكلما استجد أمر في قضايا الكون من علوم تجريبية أو تطبيقية أو فلكية ظهر ما يقابلها من الأبحاث التي تريد إثبات وجودها وربطها بالقرآن الكريم.

ثم كان القرن الخامس عشر الهجري فكثرت المؤلفات في هذا الاتجاه وتنوعت، وبرزت معالم التفسير الموضوعي فيها أكثر من حيث تناول قضية بعينها وبحثها في القرآن الكريم، فألف الدكتور زغلول النجار

---

1 – انظر: الآلوسي، محمود شكري، ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيأة الجديدة القويمة البرهان صـــ 3، 4 تحقيق: زهير شاويش، ط المكتب الإسلامي، أولى 1960.

2 – تنبيه العقول الإنسانية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرانية محمد بخيت المطيعي، تقديم:عبد الرحمن عيسى ط مكتبة أحمد ربيع، حلب 1969م.

3 – طباعة دار الرضوان حلب الطبعة الثانية 1401هــ، وقد طبع الكتاب أول مرة عام 1389 هــ.، والأستاذ الأميري من أعيان القرن الرابع عشر الهجري ولد في حلب ودرس في الأزهر.

العديد من المؤلفات المتعلقة بذلك كـ: (السماء في القرآن الكريم) 1، و: (المفهوم العلمي لجبال في القرآن الكريم)2، و: (النبات في القرآن الكريم) 3 في ثلاثة أجزاء، كما ألف الدكتور كارم السيد غنيم والدكتور عبد العظيم محمد الجمال كتاب: (الجراد في القرآن الكريم والعلم الحديث) 4، ومما صدر أيضا: (العلوم الفلكية في القرآن الكريم) للدكتور سيد وقار أحمد حسيني 5، وكتاب (من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في ضوء الدراسات الجغرافية الفلكية والطبيعية) للدكتور حسن أبو العينين 6 وجعله في جزئين، وكتاب (الركام المزني والظواهر الجوية في القرآن الكريم) لصلاح الدين عارف جنيد7.

وبالنظر في هذه المؤلفات جميعها نجد أنها تشترك بالملاحظات الآتية:

- إن الكاتبين لهذه المؤلفات ليسوا من ذوي التخصصات العلمية الشرعية، وإنما من التخصصات العلمية الكونية المختلفة، ولذلك فقد كثرت في كتاباتهم الأخطاء المنهجية العلمية الآتية.
- الإطناب في سرد المعلومات الكونية المتعلقة بقضية البحث، حتى تصل أحياناً إلى ذكر جزئيات لا علاقة لها بدلالة الآيات ولا تتصل بها في الموضوع العام8.
- الاختصار المخل في تفسير الآيات، وقد يكون التفسير عند بعضهم فيما لا علاقة له بالبحث فيدخل الإسرائيليات، وقد يستشهد بالتوراة والإنجيل كما في كتاب الجراد في القرآن الكريم والعلم الحديث 9، بل إنك تجد في كتاب الركام المزني خروجاً عن اتفاق المفسرين وشذوذا في الاستدلال10.
- لا توجد خطة واضحة لهذه المؤلفات يمكن اعتبارها، فبعضهم يسرد المعلومات ويدخل فيها الآيات على أنها بيان لها، وآخرون يذكرون الآيات أو الآية المتعلقة بالقضية الكونية المبحوثة ثم يفسرونها ثم يذكرون المعلومات المتعلقة بها على الوجه المتقدم من الإطناب. ومنهم من يذكر الآية ثم يسرد ما يتعلق بسورة الآية من موضوعات ومكان النزول وما تحتويه من آيات كونية..الخ، ثم يفسر الآية التي

---

1 – طباعة: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ـ طبعة ثانية، 2005.

2 – طباعة مكتبة الشروق الدولية، مصر،

3 – طباعة: مكتبة الشروق الدولية، مصر، الثانية 2005.

4 – طباعة دار الصحوة، مصر، الأولى 1988م.

5 – طباعة دار طلاس، سوريا، الثانية 1996.

[6] - طباعة: مكتبة العبيكان، السعودية، أولى 1996.

[7] - طباعة: مطبعة الزرعي دمشق، أولى 1999م.

[8] – انظر مثلاً: النبات في القرآن الكريم للدكتور زغلول النجار5/ 135.

[9] – انظر الصفحات من 31، إلى 33 من كتاب الجراد في القرآن والعلم الحديث، فقد أتى المؤلفان بنصوص من التوراة على تعذيب بني إسرائيل بالجراد.

[10] – انظر مثلاً: الصفحات 40، 42، 47، من كتاب: الركام المزني والظواهر الجوية في القرآن الكريم.

هي محل البحث، ثم يسرد المعلومات الكونية ذات العلاقة [1]، بل قد تجد بعضهم يذكر الآية ثم يدخل في موضوعه مباشرة دون بيانها أو ذكر تفسيرها أو وجه ارتباطها بالقضية العلمية كما في كتاب الدكتور أبو العينين، وكتاب الدكتور سيد وقار.

– لا يوجد في أغلب هذه الكتب بيان وجه دلالة الآية على المعلومة التي يراد الاستدلال عليها، ولا تجد أيضا وجه الإعجاز العلمي في الآية.

– بعضهم نظر في مقدمة كتابه لقواعد وضوابط ينبغي التزامها في التفسير والإعجاز العلمي للقرآن، ولكن بالمقارنة بين النظرية والتطبيق تجد مفارقات مختلفة، وأغلب هذه المخالفات في اللغة وفي معاني الحروف وفي أنواع الدلالات، كما في كتاب السماء في القرآن الكريم مثلاً، إذ خالف الكاتب اللغة عند الاستدلال على الثقوب السوداء في قوله تعالى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ () الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾[التكوير: 15، 16][2].

– إخراج الآيات عن سياقها العام والخاص وكأنها نزلت دليلاً على القضية المراد البحث عنها فقط[3].

هذه أهم الملاحظات العامة التي لا يخلو منها أو من أحدها بحث من أبحاث التفسير والإعجاز العلمي في القرآن يمشي على طريقة التفسير الموضوعي، ولعل السبب الجامع لوجود هذه الملاحظات هو عد التخصص الشرعي للمؤلفين مما جعل اهتمامهم ينصب على الموضوع دون مراعاة المنهجية العلمية، ولذلك فإن أغلب هذه الملاحظات لا تجدها في الكتب التي ألفها المتخصصون بالعلوم الشرعية وخاصة التفسير وعلوم القرآن.

ثم ظهرت محاولة تصنيف الآيات ذات الدلالة الكونية بمجموعات موضوعية، وهي محاولة تستحق تسليط الضوء عليها، لجدتها وأهميتها في التفسير الموضوعي، فقد قام الطبيب الدكتور محمد جميل الحبال بالتعاون مع الدكتور مقداد مرعي الجواري، في كتاب(العلوم في القرآن الكريم)[4] بجمع الآيات الكونية في القرآن الكريم الكريم وتصنيفها على مجموعات علمية، وشرح المؤلفان طريقة التصنيف لهذه الآيات – كما يقولان – (حسب نوع الإشارة العلمية)، وأنواع الإشارة بتقسيمهم أربعة، ونذكرها هنا باختصار[5]:

---

[1] – انظر كتاب النبات في القرآن الكريم، وقارنه بكتاب المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم، وكلاهما للدكتور زغلول النجار، وستجد خلافا بينهما في طريقة البحث، ففي كتاب "المفهوم العلمي للجبال" يفسر الآيات دون التعرض للكلام على سورها كما كان يفعل في كتاب "النبات في القرآن" أو كتاب "السماء في القرآن".

[2] – انظر: السماء في القرآن الكريم صــ 213، إلى 216، ثم انظر صــ 227، فقد خالف اللغة عند الاستدلال على الثقوب السوداء.

[3] – انظر على سبيل المثال، بحث: دلالات السياق القرآنية على وجود الثقوب السوداء، سعيد حمود اليامي، مجلة الإعجاز العلمي صــ 23، العدد 23، رجب 1423هــ.إذ استدل بتكوير الشمس واندثار النجوم – وهي من أهوال يوم القيامة– على ظاهرة الثقوب السوداء.

[4] – طباعة دار النفائس، بيروت أولى 1998م.

[5] – العلوم في القرآن صــ23 فما بعد.

أحدها – كما يقولان – "الإشارات العلمية الواضحة أو المباشرة (التخصصية)" ومثلا لها بآية النحل تحت عنوان العسل غذاء ودواء[1].

الثانية: "الإشارات العلمية العامة (الإجمالية) كأضرار الزنا.

الثالثة: "الإشارات العلمية غير المباشرة (التلميحية)، كالإشارة إلى ضيق الصدر في أعالي الجو في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: 125].

الرابعة: الإشارات العلمية المستنبطة، كمدة أقل الحمل، وحركة الأرض.

يقول المؤلفان: (في هذه المرحلة تم جمع وتصنيف الآيات التي تحوي الإشارات الكونية حسب النقاط سابقة الذكر على أبواب المعرفة والعلوم المختلفة وذلك حسب فهمنا ومعرفتنا واعتمادا على المصادر المذكورة.. وقد تكون هناك آيات أخرى ذات دلالات علمية، ولكننا لم ندخلها في الدراسة لقصور علمنا وفهمنا بها، وقد يتوصل إليها آخرون في الوقت الحاضر أو في المستقبل..، وقد يكون هناك موضوعات علمية أخرى لم ندرجها في البحث وقد يتوصل إليها المتخصصون بها..)[2].

وعندما تتعدد العلوم المشار إليها في الآية الواحدة فيتكرر ذكر الآية عند كل علم مصنف لديهم.

ووضع المؤلفان في حسبانهما الإطار الإيماني الذي وردت فيه الآيات المصنفة، فقالا: (تمت دراسة الآيات المشار إليها من خلال المعاني الإيمانية في كل آية، وتم تصنيفها باعتبار وجود أحد أركان الإيمان الستة..) [3]، ولذلك فعند ذكر الآية فإنهما يضعان خطاً تحت الدلالة الإيمانية، وقوسان على المقطع الذي فيه الدلالة العلمية ومثال ذلك: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[النحل: 78]، وهكذا.

ولذلك فقد وضعا كشافين في كتابهما أحدهما (كشاف الإشارات العلمية) [4]، وكشافاً لـــ (الإشارات الإيمانية) [5]، أعادا تصنيف الآيات في هذا الكشاف الأخير حسب أركان الإيمان.

وقد أقر المؤلفان بأن مثل هذا المشروع يحتاج لجهود متضافرة وأن دراستهم هذه (محاولة أولية في هذا المجال، قد تفتح آفاقاً كثيرة للآخرين في المستقبل)[1].

---

[1] – المصدر السابق صـــ 24.

[2] – المصدر السابق صـــ 29.

[3] – المصدر السابق صـــ 31ز

[4] – المصدر السابق صـــ 67 إلى صـــ 84.

[5] – المصدر السابق من صـــ 85 إلى صـــ 97.

ثم طبق هذه الطريقة الدكتور محمد جميل الحبال بالاشتراك مع الدكتور وميض العمري في كتابيهما (الطب في القرآن)[2]، إذ اشتمل الكتاب على نحو 350 آية مصنفة لـــ 17 موضوعاً طبياً، ثم ربط هذه الإشارات بأركان الإيمان الستة، ثم تبعهما المهندس أحمد عامر الدليمي في كتابه (المياه في القرآن، منهاج لتفسير الإشارات العلمية في الآيات القرآنية)[3]، فقد حوى كتابه نحو 265 آية، مصنفة إلى 13 علماً متخصصا في مجال المياه، وفيها نحو 538 إشارة علمية – كما يقول المؤلف[4]، وقد ربط المؤلف هذه الآيات بأركان الإيمان الستة باعتبار أن الهدف من هذه الآيات وذكر العلوم التي فيها إنما لإقامة الحجة على الناس[5].

وقد أحسن الديلمي في عرض موضوعات كتابه والاستفادة من الآيات القرآنية وطريقة عرضها، إلا أنه يؤخذ على أصحاب هذا المنهج الآتي:

ــ لم يبينوا بشكل واضح المنهج المتبع حال كون الآية ذات دلالة مفتوحة تستوعب كل العلوم، مع أنهم تعرضوا لذكر ذلك[6]، كما في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: 2].

ــ متابعة المؤلفين لمن سبقهم في الاستدلالات على العلوم دون تمحيص، كمتابعتهم في الاستدلال بقوله تعالى ﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: 5] على حساب السرعة الكونية "سرعة الضوء"[7].

ــ عدم استخدام المصطلحات العلمية في بيان نوع الدلالة، فاستخدامهم لكلمة "الإشارة العلمية" و"الإشارة التلميحية"، استخدام لمصطلح دارج غير سليم، والإشارة هي إحدى أنواع الدلالة القرآنية المعبر عنها بإشارة النص، وهي الدلالة المستنبطة لغير ما سيقت له الآية، وهذا المعنى غير مراد بهذا الاستخدام، فكان الأحسن استخدام مفردة الدلالة، ولعل عذرهم في ذلك كونهم غير مختصين بالعلوم الشرعية فعبروا بما عرفوا.

ــ اعتبارهم السياق الإيماني فقط في تفسير الآيات، دون اعتبار سياق نظم الآية مناسبتها لما قبلها الذي قد يساعد كثيراً على بيان الآية وتوسيع الدلالة أو تقييدها.

ومع هذه الملاحظات إلا أن منهجهم قمن بالاعتبار والنظر والمتابعة والله أعلم.

---

[1] – المصدر السابق صـــ 29.

[2] – طباعة دار النفائس، بيروت، الأولى 1997م.

[3] – طباعة دار النفائس، بيروت أولى 2002م، والمؤلف يحمل ماجستير في علم المياه.

[4] – المصدر السابق صـــ 12.

[5] – المصدر السابق صـــ 15.

[6] – انظر: العلوم في القرآن صـــ 31.

[7] – المصدر السابق صـــ 20.

المبحث الثاني: منهج التفسير الموضوعي في قضايا التفسير والإعجاز العلمي

إن منهج التفسير الموضوعي في أبحاث التفسير والإعجاز العلمي على الخصوص لا يخرج في مبادئه العامة عن منهج وخطوات التفسير الموضوعي العام، ولكن نظراً لحساسية هذا النوع من الأبحاث فإن ثمة قضايا خاصة بهذا اللون من التفسير لا بد من بيانها في هذه الخطوات العامة، إضافة إلى قضايا منهجية خاصة بأبحاث التفسير والإعجاز العلمي، مثل: منهج التعامل مع المعلومات الكونية في التفسير الموضوعي.

إن دراسة قضية ما من القضايا العلمية الكونية في القرآن الكريم؛ تتطلب من الباحث الدراية الجيدة فيما قيل عن هذه القضية في العلوم الكونية أثناء عملية التفسير ومحاولة استثمار الدلالات اللغوية في توظيف العلوم الكونية لتجليتها وتوسيع معانيها، وحتى يسلم للباحث ذلك، فلا بد له من اتباع المراحل الآتية:

المرحلة الأولى: اختيار الموضوع: إن الأصل في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم هو معرفة هدي القرآن وسبقه في بيان القضية الكونية المدروسة، وبيان التصور الذي رسمه القرآن الكريم لهذه القضية، ولئن كان الواقع العلمي له أثر في اختيار الموضوع؛ لكن يجب أن يبقى القرآن هو الأصل الذي ينبغي الاعتماد عليه في تقرير التصور الكوني لهذه القضية العلمية المبحوث فيها استدلالاً أو استنباطاً، ويبقى دور الواقع العلمي في بيان القضية العلمية في القرآن الكريم في إطار ما يدل عليه النص القرآني.

وهنا أمران مهمان ينبغي ذكرهما:

أحدهما: ينبغي على الباحث أن يختار موضوعاً له وجود في القرآن –ولو استدلالاً– بغير تكلف وتعسف، فلا يجوز للباحث أن يتكلف (فيحاول أن يدخل في القرآن كل شيء مستحدث في العلوم والصناعات، بدعوى شمول القرآن لكل شيء من هذه الوسائل، كما كتب بعضهم بحثاً بعنوان: الأطباق الطائرة في ضوء القرآن، وكتب آخر: القنبلة الذرية في القرآن الكريم)1.

الأمر الثاني: هو أن يكون الباحث على قناعة ودراية بالبحث الذي يختاره، بأن تكون الفكرة ناضجة وواضحة في ذهنه، وقد تهيأ لها وأخذ الأسباب اللازمة علمياً وعقلياً ونفسياً للكتابة فيها.

---

[1] – انظر: فتح الله السعيد، د. عبد الستار، المدخل إلى التفسير الموضوعي،، صـــ59، ط دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، الثانية، 1991م.

وفي هذه المرحلة يضع الباحث عنواناً أولياً لبحثه يبين مضمون البحث ومدلوله، ثم إن شاء يعدل في العنوان أو يغير فيه حسب ما يراه مناسباً، ولكن ما يشترط في اختيار العنوان هو أن يكون معبراً عن المضمون بشكل واضح وأن يراعي فيه المصطلحات الشرعية[1].

وقد جعل بعض الفضلاء ممن كتب في منهج التفسير الموضوعي اختيار العنوان الخطوة الأولى من خطوات التفسير الموضوعي، وقد يلمحون لاختيار الموضوع عرضاً، مع أن اختيار الموضوع مقدم من اختيار العنوان وأكثر أهمية[2].

المرحلة الثانية: وضع خطة البحث: والمراد بوضع خطة البحث: وضع العناوين الأساسية للقضايا والمواضيع الفرعية والجزئية التي سيتعرض لها بحث التفسير الموضوعي عندما يكون بحثه مطولاً مفرعاً.

وهذه المرحلة مبنية على سلامة المرحلة الأولى في اختيار الموضوع، لأن العناية بخطة البحث في بداية الأمر يدل على التصور الواضح للقضية المبحوثة في القرآن الكريم، ويحدد الأولويات التي ينبغي أن يصرف الجهد لها. ويوفر الوقت الكثير للباحث كي لا يتشتت في فرعيات متعدد ومتشعبة، يقول الدكتور مصطفى مسلم: (لا بد للباحث من الالتزام بمنهج البحث العلمي عندما يضع مخطط البحث للموضوع،...فإن كان الموضوع متشعب المباحث والمجالات؛ لابد عندئذٍ من وضع تمهيد يبين الباحث فيه منهجه في تناول الموضوع، [يقسمه إلى أبواب وفصول ومباحث..]، أما إذا كان الموضوع محدد المعالم والآفاق واضح المجالات، قليل العناصر؛ فلا بأس من بحثه عندئذٍ على شكل مقالة علمية تتكون من مقدمة وصلب الموضوع وخاتمة... ويدون خلاصة ما توصل إليه في الخاتمة بشكل موجز)[3].

المرحلة الثالثة: الاستقراء والجمع: والمراد بالاستقراء أن يتتبع الباحث الآيات القرآنية المتعلقة بالقضية الكونية المراد بحثها في القرآن الكريم،ويكتبها على بطاقة خاصة، ثم يجمع هذه الآيات مع بعضها لينتقل إلى مرحلة الترتيب والتصنيف.

والاستقراء في أبحاث التفسير الموضوعي على نوعين:

---

[1] – ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي، د. عبد الستار صـــ 59.

[2] – انظرمثلاً: د. أحمد السيد الكومي، د. محمد أحمد يوسف القاسم، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم صـــ23 ط مصر 1402هـــ، د.مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي صـــ 37 ط دار القلم دمشق الأولى 1420هـــ.

[3] – مباحث في التفسير الموضوعي صـــ38، وما بين [ ] اختصار لكلام فضيلته بتصرف مني.

أحدهما: تام، والمراد به استقراء كامل القرآن استقراءً دقيقاً يتم من خلاله جمع كل ما يتعلق بالقضية المبحوثة نصاً أو استدلالاً. كموضوع حركة الكون وكروية الأرض، وكالحديث عن النجوم في القرآن الكريم..، ونحو ذلك[1].

والاستقراء الآخر: غير تام، ويراد به التتبع للآيات المتعلقة بالقضية المبحوثة بشكل مباشر وبدلالة ظاهرة، أو بتتبع الآيات التي تجمع أطراف الموضوع بشكل جامع لفظاً واستدلالاً[2]، كمراحل خلق الجنين، فالآيات التي تنص على مراحلة الأساسية قد نص القرآن عليها ولكن ثمة آيات تدخل في هذا الموضوع بشكل غير مباشر كخلق سمعه وبصره مثلاً، ففي الاستقراء التام ينبغي أن تدخل في الحسبان، وأما في الاستقراء غير التام فلا تدخل.

إن جمع الآيات لم يعد يعتمد كثيراً على المعاجم المفهرسة، أو كتب المفردات والوجوه والنظائر وغير ذلك، إذ بتوسع استعمال الحاسوب وتطور البرامج الحاسوبية التي تعتني بالقرآن وعلومه صار من السهل جداً جمع الآيات القرآنية من خلال البحث عن المفردة، بل هناك برامج رتبت آيات القرآن حسب المواضيع كبرنامج صخر (تفسير القرآن الكريم) مثلاً، والذي أراه أن الباحث الجاد والمخلص في بحثه لا يكتفي بهذه الطريقة في البحث، ولكن لا بد له من أن يستوعب قراءة القرآن بتأني من أوله إلى آخره ليتناول الآيات المتعلقة بقضيته الكونية حسب سياقها، نعم قد تكون بعض الأبحاث لا تحتاج هذه الطريقة كمن يريد الكتابة عن دلالة السماء في القرآن وأن يتناول كل الآيات التي فيها "سماء"، فيسعفه مثل هذه البرامج الحاسوبية أو إصدارات القرآن الكريم الإلكترونية كمصحف المدينة المنورة للنشر الإلكتروني مثلاً، ولكن هذا لن يغنيه في العودة إلى القرآن ليقرأ الآية في سياقها ونظمها.

ولذلك على من أراد جمع الآيات بأيِّ طريقة كانت: أن يستعين بمصحف على هامشه بيان المفردات، أو تفسيراً مختصراً، وعندما يستخرج الآية على بطاقتها الخاصة يسجل معها تفسيراً مختصراً يدل على موضوعها وما تحتويه من عناوين محتملة (مواضيع فرعية تدخل في القضية الكونية المبحوثة).

وهذه الطريقة في الاستقراء تساعد الباحث على التصنيف السليم للآيات في الموضوعات المتشعبة والأبحاث المطولة، وتكوِّن لديه ملكة تفسيرية تقوي استدلاله أثناء صياغة البحث الأخيرة.

المرحلة الرابعة: ترتيب الآيات وتصنيفها:

---

[1] – وهذا النوع في الاستقراء يستخدم في نوع التفسير الموضوعي "البسيط" كما عبر عنه الدكتور عبد الستارفي المدخل، ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي صـــ62.

[2] – وهذا النوع من الاستقراء يستخدم في التفسير الموضوعي "الوسيط" كما عبر عنه د. عبد الستار في المدخل، ينظر المدخل إلى التفسير الموضوعي صـــ 62.

بعد أن يجمع الباحث الآيات المتعلقة بالقضية الكونية المدروسة، – وكان قد اطلع على معانيها جملة كما تقدم –؛ يقوم بترتيبها حسب اتفاقها وافتراقها في الموضوع، ولا يشترط أن يكون لكل موضوع جزئي عدد من الآيات فقد تكون آية واحدة موضوعاً جزئياً ضمن دراسة قضية كونية، كما أنه يمكن أن يتكرر الاستشهاد بآية واحدة عدة مرات لتداخلها مع آيات أخرى في موضوعات فرعية، فإن قوله تعالى – مثلاً –: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج:5] تتضمن عدة قضايا كونية، أبرزها: علاقة الماء باهتزاز التربة، و حركة التربة وأثرها في الزراعة، وهكذا..، وعلى كل فإن تصنيف وترتيب الآيات أمر اجتهادي يعود لمدى تمكن الباحث في أصول الاستنباط والبيان.

وقد ذهب بعض الفضلاء إلى أن الترتيب ينبغي أن يكون حسب زمن النزول، أي ترتيباً تاريخياً بتمييز المكي والمدني[1]، (ومن العجيب أن نرى جل الذين صنفوا في التفسير الموضوعي وجعلوا هذا الترتيب التاريخي شرطاً للتفسير الموضوعي لم يلتزموا هذا الشرط في تفسيرهم، ولم يطبقوه بشموله إلا في مواضيع الأحكام حيث يتعين أحياناً معرفة سبب النزول أو الوقوف على سببه..)[2].

إننا لو دققنا النظر لا نجد لهذا التقييد في الترتيب والتصنيف فائدة مهمة في بعض موضوعات القرآن الكريم، وعلى الأقل فإن هذا الترتيب لا فائدة منه في أبحاث التفسير والإعجاز العلمي، لأن المراد من هذا النوع من التفسير معرفة هداية القرآن في الآفاق ومعرفة العوالم والأكوان، والعلم بالتصوير القرآني لحقيقة القضية الكونية، وبيان سبق القرآن في الدلالة على قضايا كونية متعددة، ولا يضيرنا في الترتيب والتصنيف معرفة ما إذا كانت الآية مكية أو مدنية، وإن ما يهمنا في تصنيف الآيات هو ملاحظة الموضوع الفرعي الذي يجمع آيات بعينها ضمن الموضوع الكلي، فالباحث مثلاً في الماء في القرآن الكريم، سيجد أن القرآن ذكر مصادر الماء، ووظائفه، وأحواله، ودورته،...الخ، فعلى الباحث أن يقوم بجمع الآيات المتعلقة بكل معنى من هذه المعاني ضمن مجموعتها، (حيث يبدأ بتنظيم الآي وتصنيفها على نحو خاص يعين على الاستنباط منها والربط بينها والخروج منها برؤية جامعة لمختلف قضاياها الجزئية)[3].

المرحلة الخامسة: البحث التفسيري للآيات: وهذه المرحلة هي لب الموضوع، وأهم مراحله؛ بل حقيقته التي ينبغي على الباحث أن يولي لها اهتماماً كاملاً، فبعد أن يتم جمع الآيات القرآنية على موضوعات متناسبة يجمعها عنوان واحد ينبغي على الباحث أن يستوعب دراسة الآيات دراسة علمية وافية متأنية، بالرجوع إلى

---

[1] – انظر: شريف، محمد إبراهيم، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، صـــ503، دار التراث، القاهرة، أولى 1982م، المدخل إلى التفسير الموضوعي، د.عبد الستار صـــ63، مباحث في التفسير الموضوعي د. مصطفى صـــ37، التفسير الموضوعي للكومي والقاسم صـــ 23.

[2] – رشواني، د. سامر عبد الرحمن، منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، دراسة نقدية، صـــ 153، ط: دار الملتقى حلب الأولى 2009م.

[3] – منهج التفسير الموضوعي د. رشواني صـــ152.

كتب التفسير التحليلي، والتعرف على أسباب نزولها إن وجدت، وإلى الألفاظ واستعمالاتها والروابط بين الألفاظ في الجملة وبين الجملة في الآية وبين الآيات في المجموعة 1، ويعلم ما يتعلق بدلالتها من حيث العموم والخصوص والمطلق والمقيد، "وبذلك يكون التفسير الحليلي ضرورة للتفسير الموضوعي، فهما يتعاونان ولا يتعارضان، بل يتكاملان لخدمة النص القرآني"2.

ويجب في هذه المرحلة الكلام على مسائل ضرورية يجب الأخذ بها في التفسير الموضوعي في اتجاه التفسير والإعجاز العلمي:

المسألة الأولى: الاهتمام بما يتعلق بالآية من أسباب النزول إن وجد:

ذلك لأن سبب النزول يزيل الإشكال عن معنى الآية، كما يقول ابن دقيق العيد(ت 702هـ): (طريق قوي في فهم معاني القرآن)، ويقول ابن تيمية(ت 728هـ): (معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبَّب) 3، إذن معرفة سبب النزول طريق من طرق بيان الآية ومعرفة الجو العام الذي نزلت فيه الآية وما يحيط بها من ملابسات،

ولا يعني معرفة سبب النزول أن يذكره الباحث في التفسير الموضوعي، بل المراد هنا لزوم الاطلاع على معرفة الجو الذي نزلت به الآية لقصد المعنى مما يساعد في بيان القضية المبحوثة، ثم إن كان ذكر سبب النزول يفيد البحث التفسيري فيذكره وإلا فيكفي الإشارة إليه.

المسألة الثانية: الاهتمام باللغة وعلوم العربية:

إن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، وإن التعرض لبيانه وفهمه لا بد أن يكون في ضوء لسان العرب وتصريفاتهم في الكلام، لأن العلوم التي يراد الاستدلال عليها في القرآن الكريم مكنونة في دلالات النص القرآني المنزل باللسان العربي، والاعتناء بهذا الجانب في التفسير الموضوعي ركن ركين وأصل أصيل لا يجوز تغافله ولا التساهل فيه، يقول الزركشي رحمه الله(ت 764هـ): (وليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شيء من الكتاب العزيز، ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين)4.

---

[1] – انظر: مباحث في التفسير الموضوعي د. مصطفى صـــ 37.

[2] – المدخل إلى التفسير الموضوعي د. عبد الستار صـــ64.

[3] – انظر قول ابن دقيق العيد وابن تيمية في الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر 1/ 190، تحقيق مكتب الدراسات القرآنية، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف 1426هـ.

[4] – الزركشي، محمد بن عبد الله بن، البرهان في علوم القرآن 306/2، تحقيق المرعشلي، ط دار المعرفة.

فينبغي على الباحث بيان المفردات الغريبة في الآيات وذات العلاقة المباشرة في قضيته المبحوثة، ويذكرها في بحثه قبل المباشرة في تفسير الآيات، كما ينبغي أن يضع الباحث في التفسير الموضوعي الإعراب في حسبانه لأنه أحد طرق بيان القرآن، ولذلك يقول السيوطي(ت 911هـ): (وعلى الناظر في كتاب الله، الكاشف عن أسراره النظر في الكلمة وصيغتها ومحلها ككونها مبتدأ أو خبراً أو فاعلاً..)[1] .

ولكن هل يشترط أن يذكر الباحث في اتجاه التفسير والإعجاز العلمي تفاصيل اللغة والإعراب؟.

إن التفسير التحليلي مرحلة لازمة عند دراسة الآيات لبيان القضية الكونية المبحوثة، وهذه المرحلة تكون سابقة على المباشرة بالصياغة العلمية والمنهجية للتفسير الموضوعي، وعندما يستقر المفسر – أثناء الدراسة التحليلية – على رأي يرجحه فإنه يثبته في بحثه ما دام للقول الذي اختاره حظ من النظر والاعتبار والدليل، على أن لا يكون هذا القول شاذاً أو مخالفاً أو مهجوراً، ويستحسن أن يعلق في الحاشية أن هذا ما يترجح له وأن ثمة أقوال أخرى لها اعتبارها، وقد تتساوى لدى الباحث أوجه المعاني، فيعرضها في بحثه بإيجاز، ويذكر أن المعنى الفلاني يدل على القضية التي يدرسها.

المسألة الثالثة: الاهتمام بالسياق القرآني:

إن معرفة السياق له دور كبير في بيان معامل الربط بين الآيات المتشابهات وتوضيح مظان المشكل في المختلفات، وحل موهم التعارض بينها، وهذا له أثر كبير في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، خاصة إن اجتمعت هذه الآيات المتشابهات المشكلات المختلفات في موضوع واحد، فالألفاظ ليست مكنونات ذهنية مجردة وجامدة في دلالتها، بل هي للتداول، ولها دلالات ومعاني بحسب استخدامها في النظم، فالسماء في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [النحل:10]، غير معناها في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [البقرة:29]، وغير معناها في قوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة:164]،..وهكذا، فمراعاة السياق الذي وردت فيه السماء يخصص مدلولها، وإن كان الجامع بينها في الأصل اللغوي: العلو.

وتتأكد العناية به أكثر عند عدم وجود ما يبين الآية من المأثور، يقول الزركشي في معرض كلامه على تفسير ما لم يرد فيه نقل: (وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها بحسب السياق، وهذا يعتني به الراغب كثيراً في كتاب المفردات فيذكر قيداً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ لأنه اقتنصه من السياق)[2]، وينقل الزركشي في البحر النحيط عن العز بن عبد السلام(ت660هـ)

---

[1] – الاتقان للسيوطي 4/ 1220.

[2] – البرهان في علوم القرآن 313/2.

قوله: (السِّيَاقُ يُرْشِدُ إلَى تَبْيِينِ الْمُجْمَلَاتِ وَتَرْجِيحِ الْمُحْتَمَلَاتِ وَتَقْرِيرِ الْوَاضِحَاتِ وَكُلُّ ذلك بِعُرْفِ الِاسْتِعْمَالِ، فَكُلُّ صِفَةٍ وَقَعَتْ في سِيَاقِ الْمَدْحِ كانت مَدْحًا وَإِنْ كانت ذَمًّا بِالْوَضْعِ وَكُلُّ صِفَةٍ وَقَعَتْ في سِيَاقِ الذَّمِّ كانت ذَمًّا وَإِنْ كانت مَدْحًا بِالْوَضْعِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذُقْ إنَّك أنت الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: 46])[1]، ويقول الشاطبي رحمه الله(ت790هـ): (كلام العرب على الإطلاق لا بد فيه من اعتبار معنى المساق في دلالة الصيغ، وإلا صار ضحكة وهزءة، ألا ترى إلى قولهم: فلان أسد أو حمار، أو عظيم الرماد، أو جبان الكلب، وفلانة بعيدة مهوى القرط، وما لا ينحصر من الأمثلة، لو اعتبر اللفظ بمجرده لم يكن له معنى معقول؛ فما ظنك بكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم؟)[2].

فيجب على الباحث أن يهتم بالسياق العام والخاص أثناء التفسير، والمراد بالسياق العام هو اعتبار مقاصد القرآن الكريم في ذكر الكونيات وبيانها وفي ذلك يقول الرازي رحمه الله(ت 606هـ): (والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة: الإلهيات، والمعاد، والنبوات، وإثبات القضاء والقدر لله تعالى)[3]، ولذلك كان الرازي يعتبر السياق الكلي للقرآن الكريم في تفسيره كله، ففي تفسير سورة النحل عند قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها﴾ [النحل:10]، يقول: (اعلم أنا قد ذكرنا أن المقصود الأعظم من هذا القرآن العظيم تقرير أصول أربعة: الإلهيات والنبوات والمعاد، وإثبات القضاء والقدر، والمقصود الأعظم من هذه الأصول الأربعة تقرير الإلهيات، فلهذا السبب كلما امتد الكلام في فصل من الفصول في وعيد الكفار عاد إلى تقرير الإلهيات)[4].

ويقول الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله(ت 1906م): (إن المقاصد الأساسية من القرآن وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد والنبوة والحشر والعدالة..) [5]، ثم يقول أيضاً: (فكما تتراءى هذه المقاصد الأربعة في كله، كذلك قد تتجلى في سورة سورة..) [6]، ويدخل في السياق العام أيضاً معرفة السياق العام للسورة، وعلى سبيل المثال، فإن معنى الموعظة الحسنة في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل:125] يفسرها ابن جرير(ت 310هـ) بقوله: (وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكّرهم بها في تنزيله، كالتي عدّد عليهم في هذه السورة من حججه، وذكّرهم فيها ما ذكرهم من آلائه)[7]، فقد

---

[1] – الزركشي بدر الدين محمد بن بهادر، البحر المحيط في أصول الفقه 357/4 تحقيق د. محمد محمد تامر ط دار الكتب العلمية، أولى 1421هـ.

[2] – الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي، الموافقات 419/3 تحقيق: مشهور آل سليمان، ط دار ابن عفان الأولى1417هـ.

[3] – الرازي، التفسير الكبير 156/1.ط دار إحياء التراث العربي.

[4] – الرازي، التفسير الكبير 20/ 231

[5] النورسي، سعيد، إشارات الإعجاز في مظان المجاز صـ 14، ط: دار المحراب تركيا.

[6] – مصدر سابق صـ 15.

[7] – الطبري محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن 17/ 321 تحقيق أحمد شاكر، ط الرسالة 2000م.

اختار للموعظة الحسنة معنى يتناسب مع سياق سورة النحل التي أكثر الله فيها من ذكر النعم والآلاء معتبراً في ذلك السياق العام[1].

فالقرآن الكريم لم يذكر العلوم المختلفة على أنها معلومات مجردة لذاتها، بل للدلالة بها على هذه المقاصد السابقة بالدرجة الأولى، وليصحح التصور العقلي للناس من خلال التدبر فيها، وإن اعتبار السياق بالدراسة التفسيرية يرشد الباحثين للمقاصد القرآنية والانضباط بها، فما يفعله بعض المشتغلين في هذا الاتجاه من التفسير من ذكر تفاصيل جزئيات المعلومات الكونية التي لا ترتبط بالآيات القرآنية ولا تدخل في دلالتها؛ وتخرج الآيات من سياق القرآن الكلي، ومن مقصدها الهدائي الأساسي، إلى الظن أنها معلومة مجردة، مخالفة منهجية خطيرة تسيء لهذا الاتجاه من التفسير للقرآن الكريم.

وأما السياق الخاص: فهو معرفة المناسبات بين الآيات والجمل، من خلال ربط السبق باللحق وعلاقة المفردة بأختها، ومناسبة اختيار المفردة القرآنية في مقاصد السورة المأخوذة منها.

المسألة الرابعة: منهج التعامل مع المنقول:

والمراد بذلك تفسير القرآن بالسنة وتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، فأما السنة فإنها في الأصل بيان القرآن، وفي التفسير الموضوعي ينبغي على المفسر أن يستدل من السنة بما يحتاج له البحث في بيان دلالة القرآن على القضية الكونية، وأما أقوال السلف الصالح كذلك ينبغي الاقتصار على ما يتعلق بالقضية من الآثار دون استطراد أو تعرض لخلاف يحول التفسير الموضعي إلى تفسير تحليلي، وأهم ما يعرض للمفسر في هذا الشأن هو اختلاف الأقوال في المأثور، فليس الواجب على المفسر أن يوردها جميعها مع اختلافها، وإنما يختار من هذه الأقوال أثبتها وأقربها للقضية العلمية المراد بحثها، ولكل باحث اعتباره في طريقة عرض الآثار والأحاديث بما يتلاءم مع بحثه وعرض قضيته دون إلزام بمنهج معين نحتمه عليه، ويجدر بنا بيان قضية مهمة في تفسير السلف الصالح وهي أنهم رضي الله عنهم قد يتكلمون في بعض الآيات بما كان شائعاً في عصرهم من المعارف[2]، فعلى المفسر أن يكون على دراية بدراسة روايات السلف في التفسير.

ولا يجوز الاستشهاد بالإسرائيليات في التفسير الموضوعي عموماً وفي التفسير والإعجاز العلمي للقرآن خصوصاً، لأنها ليست من طرق التفسير المعتبرة.

---

[1] – وقد جعلت إحدى الباحثات تعريفات السياق وجعلته في ثلاثة معاني: أحدها: النصوص السابقة واللاحقة لما يراد بيانه وتأويله، والنصوص البعيدة والسورة بأكملها، الثاني: قصد الشارع (الملحوظ في النص المراد تبيينه)، ومقاصد التشريع المبثثة هنا وهناك، الثالث: سبب نزول الآية وحال المخاطبين وظروف القول.انظر: السياق عند الأصوليين، المصطلح والمفهوم د. فاطمة بوسلامة، مجلة الإحياءصـــ 44، العدد 25 جمادى الثاني 1428هــ

[2] - انظر مثال ذلك تفسير ابن كثير 493/7، عند تفسير قوله تعالى ((يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان))، في ذكر تولدهما من ماء المطر، وانظر للتوسع منهج التفسير العلمي وتطبيقاته في سورة النحل صـ.

المسألة الخامسة: منهج التعامل مع المعلومات الكونية:

وهذه من القضايا الشائكة التي ينبغي العناية بها بأهمية بالغة، وحتى نختصر الكلام فيها لا بد من القول أن العلوم الكونية، تنقسم من حيث المصداقية إلى فرضيات، ونظريات، ومثبتات (حقائق).

أما النظريات: فهي القضية التي تحتاج لبرهان يثبت صحتها[1]، أي: هي الظن الراجح الذي لم يقل فيه العلماء المختصون كلمتهم الأخيرة النهائية، وهي قابل للتعديل والتبديل والتغيير[2].

أما الفرضيات: فهي الطرح الاحتمالي الذي لم يصل لدرجة النظرية، فهي إما ظن مرجوح ليس له برهان، أو ظن متردد بين احتمالين أو عدة احتمالات متكافئة[3].

أما المثبتات: فهي اليقينيات التي ثبتت بالبرهان القاطع وقد يعبر عنها بالحقائق، أو هي التي ثبتت مصداقيتها بتراكم التجارب الكثيرة على مر الزمن ولم تتخلف، أو كانت من المشاهدات الكونية التي لا يمكن للعقل إنكارها.

أما المثبتات فلا خلاف في جواز الأخذ بها في التفسير والإعجاز العلمي للقرآن الكريم ما دامت داخلة في دلالته، وقد اختلف العلماء حول جواز الأخذ بالنظريات العلمية في التفسير والإعجاز العلمي [4]، والذي أراه – والله أعلم – أنه يجوز في التفسير العلمي للقرآن الكريم الأخذ بالنظريات العلمية الصحيحة التي ارتقت إلى درجة الظن الراجح ولها حظ من النظر والدليل، وخاصة منها التي ارتفعت نسبة ثبوتها لتكون أقرب إلى المثبتات، على أن تحتملها الدلالة القرآنية بإحدى أنواع الدلالة المعتبرة، ذلك لأن التفسير اجتهاد بشري في الدلالات الظنية لنظم القرآن، وهذا الاجتهاد قابل للخطأ والصواب، واستخدام النظريات العلمية في بيان مدلولات ومعاني النص القرآني إنما هي من باب التأكيد العلمي على مدلول الآية في اللغة والسياق، أو من باب التدليل بالقرائن الخارجية المعتبرة للتوضيح والترجيح.

أما في الإعجاز العلمي فلا بد من استخدام المثبتات – الحقائق – وما استقر عليه العلم فقط، وأما النظريات فلا يجوز اعتبارها في الإعجاز العلمي، لأن الإعجاز كما ذكرنا في المقدمة سبق القرآن في الدلالة على علوم يقينية، فلا بد أن يكون موضوع السبق مستقراً ثابتاً حتى يصح الاستدلال عليه.

أما معرفة درجة مصداقية المعلومات الكونية فإنه يكون بالرجوع إلى أهل التخصص في كل علم في بيان درجة المعلومة المستخدمة في بيان القرآن الكريم وإعجازه، ولا يجوز اعتبار كثرة تداول النظرية في الأوساط

---

1 – انظر: المنجد في اللغة والأعلام صـــ 817 مادة نظر، ط: دار المشرق بيروت 1992.

2 – انظر: الحبنكة، الشيخ عبد الرحمن، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، صـــ232 دار القلم دمشق، الثالثة 2004

3 – انظر: قواعد التدبر الأمثل المصدر السابق.

4 – ينظر: منهج التفسير العلمي وتطبيقاته في سورة النحل د. مرهف صـــ 174 إلى 176.

الثقافية والشهرة دليلاً على كونها حقيقة كما يفعل بعضهم في نظرية الانفجار الكوني، فمعرفة كون المعلومة حقيقة علمية يحتاج من الباحث خوفاً من الله تعالى، وبحث علمي منهجي معتبر عند أهل التخصص، ولذلك يجب على المراكز العلمية والعلماء الكونيين تصنيف مصداقية ما لديهم لخدمة القرآن الكريم.

ويجب على الباحث أن يراعي عدة أمور في استخدام المعلومات الكونية المختلفة في التفسير الموضوعي وهي:

ــ أن لا يستطرد الباحث في ذكر المعلومات التفصيلية إلا بما يخدم البحث التفسيري، كبيان ما يدخل في دلالة الآية، أو يفصل معانيها، أو يجلي فكرة الموضوع، لأن أبحاث التفسير والإعجاز العلمي هي في الأصل أبحاث في علوم القرآن، فلا ينبغي أن تغلب المعلومات الكونية على التفسير فينسى القارئ أنه يقرأ بحثاً تفسيرياً.

كما أن مثل هذه الأبحاث يراد بها إعطاء التصور القرآني للقضية الكونية، تكون فيها الآيات هي الأصل، والمعلومات خادمة لدلالاتها، ووصيفة لمعانيها، ويستحسن أن يقدم الباحث في مثل هذه الأبحاث بمقدمة مختصرة مفيدة تعطي تصورا علمياً لقضية البحث، والله أعلم.

ــ إذا لم يجد الباحث معلومات كونية في درجة النظريات التي مر بيانها ليستخدمها في التفسير، بل وجد فرضيات وتصورات واجتهادات متواطئة لا تتعدى الاحتمال، فلا يجوز أن يلتفت إليها، بل يعتمد على ما ورد من النقول والدلالة اللغوية والسياق ويقتصر في تقرير قضيته على ذلك، لأن الاعتماد على المعلومات غير الثابتة والمرجوحة كالأخذ بالظن المرجوح وكالقول بالرأي دون علم، كما أنه يفتح باباً لضعاف العقول يجعلهم يتلاعبون بالنص القرآني استجراراً لنصرة فرضياتهم مع وجود الاحتمالات لغيرها في نظم الآية.

ــ (إذا كان النص القرآني يحتمل التفسير ضمن ضوابط فهم النصوص العربية مع ما يتفق مع النظرية العلمية؛ فلا مانع من جعل تفسيره بما يتفق معها أحد الاحتمالات التي يمكن أن يفهم النصوص بمقتضاها، ولكن دون جزم ولا قطع، وتظل الاحتمالات الأخرى التي يحتملها النص مفتوحة مطروحة، حتى يأتي اليقين العلمي الذي تقرره أدوات ووسائل البحث العلمي الإنسانية)1.

وإن من المهم في ختام هذا المبحث أن نبين أمراً في غاية الأهمية:

إن التفسير الموضوعي للقرآن الكريم هو من طرق التفسير للقرآن الكريم، ولذلك لا بد لمن أراد أن يتعرض للعمل في هذا الطريق أن يكون على دراية تامة بالأدوات التي يحتاج إليها المفسر وأن يكون متأهلاً في نفسه بشروط المفسر المقررة في كتب علوم القرآن، فلا يجوز لمن لم يتأهل بشروط المفسر وأدوات التفسير أن

---

1 – انظر: قواعد التدبر الأمثل صـــ 237.

يتعرض لتفسير القرآن مهما كانت درجته العلمية في العلوم الكونية، وإلا فإنه سيتعرض للقول في القرآن بغير العلم المراد له، وقد وردت الأحاديث والآثار في تحريم هذا، ومن ذلك ما أخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)[1]، والعلم المراد به هنا علم أصول الاستنباط وأصول اللغة التي نزل بها القرآن بالدرجة الأولى، ولذلك يقول الترمذي رحمه الله عند حديث جندب بن عبد الله مرفوعاً: (من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)[2]، قال أبو عيسى: (هكذا روي عن بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم وغيرهم أنهم شددوا في هذا في أن يفسر القرآن بغير علم وأما الذي روي عن مجاهد و قتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن أو فسروه بغير علم أو من قبل أنفسهم)، ثم روى الترمذي بسنده إلى قتادة أنه قال:.(ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيء)[3]، ليكون هذا الأثر دليلاً على أنهم رضي الله عنهم تكلموا في القرآن بعلم.

نعم: إن من قواعد الأبحاث العلمية احترام التخصصات العلمية، وإن امتلاك المسلم لثقافة شرعية عامة فإن هذا لا يعني كونه متأهلاً للبحث في تفسير القرآن، فإن التفسير الموضوعي يحتاج لبيان الدلالات وفهم طرق الاستنباط والتعامل مع أسباب النزول، والتعامل مع نصوص المفسرين وفهم مصطلحاتهم، فكيف له ذلك وهو غير مؤهل له!!.

فإذا أراد الباحث المختص في غير علوم الشريعة – وخاصة منها التفسير– كتابة بحث في التفسير العلمي بطريقة التفسير الموضوعي؛ فعليه أن يستعين بمختص شرعي يعينه على الترتيب والاستنباط وشرح النصوص و..، ولذلك فإني أقول: إن أبحاث التفسير والإعجاز العلمي للقرآن الكريم هي من الأبحاث ذات الطابع الجماعي وإن الانفراد فيها يعرض البحث والباحث للوقوع في الأخطاء العلمية [4]، وبالمقابل فإن المفسر المختص لا بد له أيضاً أن يراعي التخصص العلمي فيراجع المختصين في قيمة المعلومات التي يستخدمها في التفسير الموضوعي على ما بيناه سابقاً والله أعلم.

---

1 – جامع الترمذي، كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه برقم (2950)، وقال الترمذي حسن صحيح، تحقيق بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

2 – جامع الترمذي، كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه برقم (2952)

3 – جامع الترمذي 5/ 50.

[4] – انظر: سقا، د. مرهف، (أبحاث الإعجاز العلمي ذات طبيعة متخصصة وعمل جماعي) مقال نشر في مجلة الحقيقة الصادرة عن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي مكة المكرمة التابعة لرابطة العالم الإسلامي العدد الثاني عشر، ذي القعدة 1430 هـ

المبحث الثالث: تطبيق منهج التفسير الموضوعي في التفسير والإعجاز العلمي

يتركز البحث الذي نعرضه حول قضية جزئية محدودة في القرآن الكريم ألا وهي البيان العلمي لاطراد تقديم السمع على البصر في الآيات التي جاء ذكرهما فيها، وهل الواو في العطف بينهما تفيد الترتيب، وقد اخترت لهذا البحث التطبيقي عنوان (بيان الإعجاز في تقديم السمع على الأبصار في القرآن الكريم)، ولذلك فإنني سأقتصر على الآيات التي جاء فيها ذكر السمع والأبصار في مساق الخلق، لنخلص بنتيجة أن هذا التقديم المطرد له دلالته العلمية التي تبرز جانباً من جوانب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، لأن المعلومات التي وظفت في البحث تعد من الناحية التطبيقية ثابتة يقينية إن شاء الله تعالى، تطبيقاً للقواعد المنهجية المرسومة في المبحث السابق.

وقد جعلت هذا النموذج في مقدمة ومطلبين وخاتمة، أما المقدمة فهي في التعريف بقضية البحث، أما المطلب الأول فهو تعريف بالسمع والبصر لغة ووجوه ورودها في القرآن، وأما المطلب الثاني فهو قضية البحث في بيان الآيات الخاصة لذلك وتفسيرها وتجلية وجه الإعجاز فيها، وعرضت في الخاتمة نتيجة البحث.

العنوان: بيان الإعجاز في تقديم السمع على الأبصار في القرآن الكريم

المقدمة: الحمد لله الذي نور العقول بالعلم والبصائر بالعبر، والأبصار بالحجج، والآذان بالسمع، والصلاة والسلام على المبين لخير ما أنزل الله تعالى، وأذن خير للمؤمنين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد حفل القرآن الكريم بعديد من الآيات التي بينت خلق الإنسان بمراحله العظمى، ودل القرآن إلى تفاصيل أخرى من مراحل خلق الإنسان يتبينها المتدبر للقرآن عند دراسة سياق نظمه، وبتقليب تصريف أساليبه، قال تعالى ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا، وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء: 88، 89)، يقول ابن كثير(ت774هــ): (أي: بينا لهم الحجج والبراهين القاطعة، ووضحنا لهم الحق وشرحناه وبسطناه)[1].

وهذا البحث هو تتبع لتصريف الآيات وبيان إحدى الحجج القاطعة الدالة على ربانية القرآن ونبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصدق رسالته، إذ يتركز على قضية مباشرة ألا وهي بيان أحد أسباب اطراد تقديم السمع على الأبصار في الآيات التي ذكر فيها السمع والأبصار في سياق ذكر خلق الإنسان، وأقول أحد الأسباب لأن هذا القرآن لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، فقد يظهر من المعارف ما يزيد في بيان أسباب أخرى لم تصل مدارك البشرية لها بعد.

---

[1] – ابن كثير، محمد بن إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، 5/ 117، تحقيق: سامي محمد سلامة، ط دار طيبة 1999.

المطلب الأول: السمع والبصر ووجوه ورودهما في القرآن:

السمع: لغة: حِسُّ الأذن[1]، وهو قوة في الأذن به تدرك الأصوات[2]، وقد يأتي في القرآن على وجوه[3]:

بمعنى الأذن الجارحة: كقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة:7].

بمعنى السماع أي فعل السمع، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء:212].

بمعنى الفهم، كقوله تعالى: ﴿سَمِعنا وَأطعنا﴾ [النساء:46] ومنه قوله تعالى: ﴿ولو عَلم اللهُ فيهم خيراً لأسمعهم﴾ [الأنفال:23]. وأكثر الآيات الواردة في هذا المساق تتضمن معنى التفهيم، ومن ذلك فهم القلب كقوله تعالى: ﴿أو ألقى السَّمْعَ وهُو شَهيدٌ﴾ [ق:37].

وقد يتضمن معنى الطاعة كما في قوله تعالى: ﴿ولا تَكـُونوا كالذينَ قالوا سَمِعْنا وَهُم لا يسمَعُونَ ﴾ [الأنفال: 21]، (وكل موضع أثبت فيه السمع للمؤمنين أو نفى عن الكافرين أو حث على تحريه ؛ فالقصد به إلى تصور المعنى والتفكر فيه)[4].

البصر: البَصَرُ حِسُّ العَين والجمع أبْصارٌ [5]، وقد يقال للجارحة بصر أيضاً كقوله تعالى: ﴿كَلَمْحٍ بِالبَصَرِ﴾ [القمر:50]، وقوله تعالى: ﴿لا تُدركُهُ الأبصَارُ وهُو يُدركُ الأبْصَارَ﴾ [الأنعام: 103][6]، وأما معنى: قوة القلب المدركة فهي البصيرة[7]، وهي القوة المنتجة للعبرة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ [القصص: 43].

---

[1] – ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب 8/ 162، ط دار صادر بيروت، أولى.

[2] – الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد المفردات في غريب القرآن، صـــ 425 مادة سمع، تحقيق صفوان داودي، ط دار القلم 1412 هــ دمشق.

[3] – انظر: المفردات في غريب القرآن، صـــ 425 مادة سمع، الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، 3/ 257– 260، ط المكتبة العلمية، بيروت، لسان العرب 8/ 162.

[4] – بصائر ذوي التمييز 3/ 258.

[5] – انظر: لسان العرب 4/ 64 مادة بصر. ونقله عن ابن سيده. المفردات في غريب القرآن صـــ 127 مادة بصر.

[6] – انظر: لسان العرب 4/ 64، المفردات في غريب القرآن صـــ127، بصائر ذوي التمييز 222/2

[7] – بصائر ذوي التمييز 2/ 222.

أقول: والبصر في القرآن الكريم يفسر على جهتين: أحدهما من حيث كونه حاسة، وثانيهما: من حيث المقصد والنهاية، وهو بهذه الجهة تسعة وجوه في القرآن الكريم كما ذكرها الفيروزآبادي (817هـ) في بصائره[1]، كما أنه يفرد البصر عندما يكون المراد إبصار مفرد بعينه بقصدٍ، ويجمع عندما يراد منه العموم، وبيان ذلك كله:

أولاً: البصر حاسة من حيث المعنى، مفرد من حيث اللفظ، ويراد به وجوه من حيث المقصد:

قوله تعالى: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ() ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: 3، 4]، بصر النظر والحجة.

قوله تعالى: ﴿ما زَاغَ البَصَرُ وما طَغَى﴾ [النجم:17]، بصر الأدب والحرمة.

قوله تعالى: ﴿وما أَمْرُنا إلا واحدةٌ كَـلمْحٍ بالبَصَرِ﴾ [القمر:50]، بصر للتعجيل والسرعة.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ [القيامة:7]، بصر الحيرة والحسرة.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ [الجاثية:23]، بصر للعمى والجهالة في الكافر.

قوله تعالى: ﴿إن السَّمْعَ والبَصَرَ وَالفُؤَادَ﴾ [الإسراء: 36]، بصر سؤال عن الحجة والطاعة والمعصية.

ثانياً: البصر: حاسة من حيث المعنى، جمع من حيث اللفظ، ويراد منه وجوه من حيث المقصد:

قوله تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ﴾ [الأحقاف:26]، بصر في عدم الفائدة والمنفعة.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ [النحل: 108]، بصر للغي والغفلة.

قوله تعالى: ﴿فأصَمَّهُم وأعْمَى أبصارَهُم﴾ [محمد: 23]، بصر للغطاء واللعنة.

قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: 103]، بصر لإبعاد المنكرين عن اللقاء والرؤية.

قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: 7]، بصر ختم للخسارة.

قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: 2]، بصر للنظر والعبرة.

ولم يرد في القرآن الكريم السمع جمعاً قط، سواء اقترن بالبصر أم لم يقترن به، وإنما جاء مفرداً مضافاً ومنكراً ومعرفاً، وقد ذكر ابن عاشور سبب إفراد السمع وجمع الأبصار فقال: (وأفرد السمع لأنه مصدر فهو

---

[1] – بصائر ذوي التمييز 2/ 224، ومقاصد البصر الواردة بعد هي من نفس المصدر. وينظر في ذلك للتوسع أيضاً: الخطيب، د. عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن 6/ 1001، 1002، ط دار الفكر العربي، القاهرة.

دال على الجنس الموجود في جميع حواس الناس، وأما الأبصار فجيء به جمعاً؛ لأنه اسم؛ فهو ليس نصاً في إفادة العموم لاحتمال توهم بصر مخصوص، فكان الجمع أدل على قصد العموم، وأنفى لاحتمال العهد)[1].

وهذا تعليل من حيث المعنى المقتضي من اللغة، وقد يستخرج من الإفراد والجمع فوائد متعددة بالنظر إلى عموم مساقات الآيات الوارد فيها السمع والأبصار، فنقول: إن مدركات كل حاسة تختلف عن الأخرى، فمدركات السمع شيء واحد فقط ألا وهو الصوت، وأما مدركات البصر فهي كثيرة، فالكون المحسوس كله يقع تحت إدراك البصر فالشمس والقمر والنجوم، والشجر والحجر والمياه، والطيور والحشرات..الخ كلها مدركة للبصر متغايرة بالجنس والنوع فهي أبصار[2].

كما أن السمع لا يستطيع أن يضبط أكثر من مسموع واحد يفهم منه ويعي عنه، فإذا تداخلت الأصوات واختلطت ذهب إدراك السمع وصار شتاتاً ينقلب على صاحبه مقتاً ونكداً.

أما البصر فإنه ينقل كثيرا من المرئيات فى حال واحدة، ويحتفظ لكل مرئي بصورته، دون أن تختلط بغيرها، وينقلها إلى الإدراك منفصلة، كما ينقلها إليه متصلة ؛ فهو ــ من هذه الجهة ــ أبصار، وليس بصرا واحداً ، ولذلك ذكرنا فيما سبق أنه عندما يراد إبصار شيء بعينه قصداً فإن القرآن يفرد البصر كما في قوله تعالى ﴿فارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير ﴾ [تبارك: 4]، فقد أمر البصر هنا بالنظر إلى شيء واحد ألا وهو السماء دون غيرها فأفرده، والله أعلم.

المطلب الثاني: الإعجاز في تقديم السمع على الأبصار:

ذكرنا فيما سبق معنى السمع والأبصار ووجوه تصريفها في القرآن الكريم، وقد لاحظنا في الآيات السابقة اطراد تقديم السمععلى الأبصار مما طرحتساؤلاً للبحث حول بيان هذه الظاهرة؛ وهل الواو أفادت الترتيب وبالأخص في الآيات التي جاءت في مساق بيان قدرة الله تعالى ووحدانيته في خلق الإنسان، والآيات هي:

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:31].

ومعنى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأبْصَارَ ﴾ أي: من جعل لكم القوة السامعة والقوة الباصرة وخلقهما لكم، ومن يقدر على خلقهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة، ويحميهما من الآفات على كثرتها[3].

---

1 – ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير 11/ 156، ط الدار التونسية للنشر، تونس 1984.

2 – ينظر: التحرير والتنوير 18/ 104.

3 – انظر: القرطبي الجامع لأحكام القرآن، 8/ 335، تحقيق: سمير البخاري ط دار عالم الكتب السعودية 2003، ابن كثير 266/4، التحرير والتنوير لابن عاشور 11/ 156.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون:78].

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: 9].

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: 23].

لقد جاءت هذه الآيات في سياق عام واحد ألا وهو ذكر دلائل عظمة الله تعالى ووحدانيته وقدرته وكمال صفاته سبحانه، ففيها إقامة الحجة على المشركين أن الله وحده الخالق الرازق المحيي المميت، القادر..

والمنة في الآيات بالحواس؛ والأعضاء داخلة في ذلك ضمناً لأنها محالها، كما أن محل حصول المعرفة وقيام الحجة بالحواس أصلاً لا بالأعضاء فقط، فما فائدة أن يكون للإنسان عين لا يبصر بها وأذن لا يسمه بها وقلب لا يعقل به، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾[الأعراف:179].

وفي هذه الآيات ثلاث مسائل: إحداها: إننا نجد في الآيات السابقة أسلوبين في التعبير عن خلق السمع والبصر، أحدهما بلفظ الإنشاء كما في آية [المؤمنون: 78] في قوله تعالى: ﴿أنشأ لكمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ﴾، و أما في باقي الآيات السابقة فقد عبر القرآن عن خلق السمع والبصر بالجعل.

والسبب في ذلك – والله أعلم – أن في آية المؤمنون كان المراد الاحتجاج بخلق السمع والأبصار قصداً على انفراد الله تعالى بصفات الإلهية والامتنان بما منح الناس من نعمة لعلهم يشكرون بتخصيص الله تعالى بالعبادة، ولذلك يذكر ابن عاشور في تفسيره أن هذه الآية إما معطوفة على قوله تعالى ﴿وإنَّ لكُم فِي الأنعَامَ لعِبْرَةً﴾ [المؤمنون:21]، للعودة على الغرض الأول، أو أن الآية استئنافية رجوعاً لغرض الاستدلال والامتنان1، ولذلك اختار القرآن لخلق السمع والأبصار في هذه الآية قوله "أنشأ"، لأن معناها (إحداث الشيء وتربيته)2.

أما في باقي الآيات فقد كان الامتنان والاحتجاج على صفات الله تعالى بخلق الإنسان عموماً، ثم خصص ذكر السمع والأبصار بالذكر من بين خلق الإنسان عموماً لعجيب الفطرة التي فطرهما الله عليها وبديع الصنع الذي فيهما، واستناد الحجج القائمة على وجود الله تعالى ووحدانيته على سلامتهما، ولذلك اختار القرآن لخلق السمع

---

1 – انظر: التحرير والتنوير 18/ 103.

2 – انظر: المفردات للراغب صـــ 807 مادة نشأ.

والأبصار لفظ "جعل"، فالجعل (لفظ عام في الأفعال كلها وهو أعم من فعل وصنع وسائر أخواتها) [1]، وبالفرق بين المفردتين "أنشأ وجعل" تدبر قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: 23].

المسألة الثانية: المفسرون على أن جعل السمع والبصر والأفئدة في بطون الأمهات قبل الولادة [2]، قال أبو عبيدة (ت 209هـ): (وإنما جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة قبل أن يخرجهم، غير أن العرب تقدِّم وتؤخِّر)[3]، وقال البغوي(ت510هـ): (﴿لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ تم الكلام، ثم ابتدأ فقال جل وعلا ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأبْصَارَ وَالأفْئِدَةَ﴾ لأن الله تعالى جعل هذه الأشياء لهم قبل الخروج من بطون الأمهات، وإنما أعطاهم العلم بعد الخروج)[4]،، ويقول أبو السعود(ت982هـ): (وليس فيه دلالةٌ على تأخر الجمعِ المذكورِ عن الإخراج لما أن مدلولَ الواو هو الجمعُ مطلقاً لا الترتيبُ، على أن أثر ذلك الجعلِ لا يظهر قبل الإخراج أي جعل لكم هذه الأشياءَ آلاتٍ تحصّلون بها العلمَ والمعرفة)[5].

المسألة الثالثة: في تقديم السمع على البصر، ودلالة الواو: وقد تقدم القول أن هذه ظاهرة مطردة في القرآن الكريم، ولما كانت الآيات التي ذكر فيها خلق السمع والأبصار في مساق آيات خلق الإنسان فكان ذلك إشارة إلى حصول خلقهما؛ أي إن خلق السمع يتقدم على خلق الأبصار في الجنين ولبيان ذلك انظر الجدول الآتي الذي يبين مراحل خلق كل من الحاستين في الجنين[6]:

مراحل تخلق السمع في الجنين	مراحل تخلق البصر في الجنين
في مستهل الأسبوع الثالث تتشكل نواة الجهاز السمعي على شكل ثخانة بسيطة على جانبي	تظهر حويصلة الإبصار البدائية في منتصف الأسبوع الثالث الرحمي، وفي الأسبوع الرابع

---

[1] – انظر: المفردات للراغب صـــ 197 مادة: جعل.

[2] ــ انظر: ابن جرير 17 / 266،

[3] ــ نقله ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير 347/4، تحقيق محمد عبد الله، السعيد زغلول، ط دار الفكر بيروت، أولى 1407هـــ.

[4] ــ البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل 34/5 تحقيق: محمد النمر، عثمان ضيمرية، سليمان الحرش، ط دار طيبة للنشر، الرابعة 1417هـــ.

[5] ــ أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 131/5، ط دار إحياء التراث.

[6] – انظر إضافة للمراجع المذكورة في أسفل الجدول عند كل حاسة: د. شفيق عبد الملك، تكوين الجنين، من صـــ 180 إلى صـــ 196، ط المطبعة التجارية الحديثة، مصر، الثانية 1976.
The Biology of Prenatal Development، "بيولوجية التطور في مرحلة قبل الولادة على موقع":
http://www.ehd.org/resources_bpd_documentation.php?language=4
وتبيين التطور التدريجي للحواس عند الجنين على الرابط:
http://www.ct4women.com/pc_development.html
وينظر للتوسع: John F. Cogan، SCIENCE SHEDS LIGHT ON UNBORN HUMAN LIFE، " أكواخ العلم الضوء على حياة البشر الذين لم يولدوا بعد": بحث مستفاد من الشبكة العنكبوتية على موقع: www.ct4women.com.

الرأس، وقي آخر الأسبوع تبدوا هذه الثخانة أكثر وضوحاً، ثم تتحول إلى حفرة ثم إلى حويصلة وذلك بعد الأسبوع الرابع الرحمي، وفي أثناء الأسبوع الرابع الرحمي يُحاط العرف العصبي بالطبقة الأديمية المتوسطة في منطقة المخ الخلفي لتكون العقدة السمعية البدائية التي تتحكم بالاتزان، وعقدة أخرى تتحكم بالسمع تسمى العقدة الحلزونية أو السمعية. وفي خلال الأسبوع السابع تتشكل الأذن بالمرور في عدة مراحل من انبعاجات وقنوات واستطالة قناة القوقعة لتكون نواة العقدة الحلزونية للقوقعة	تبدأ خلايا حويصلة الإبصار تتباين من جدار حويصلة المخ الأمامي، وفي أواخر الأسبوع الرابع وأوائل الخامس يبدأ ظهور عدسة العين كثخانة تشبه القرص في الطبقة الاديمية الخارجية، وفي الأسبوع الخامس تبدأ حويصلة الإبصار في الانغماد فتتخذ شكل كأس ما تلبث حوافه العلوية والسفلية(الطبقة الاديمية الخارجية) بالالتصاق بشكل كامل بنهاية الأسبوع السادس، تنمو الأجفان العلوية والسفلية بسرعة بين الأسبوع السابع والثامن وتكتمل وتلتصق مع بعضها بالأسبوع العاشر لتعود وتتباعد عن بعضها بين الأسبوعين 20 و 23، تبدأ الشبكية بالتشكل من الطبقة العصبية بالأسبوع السادس بينما يكتمل شكل العصب البصري بالأسبوع التاسع، تستمر الشبكية بالتمايز والتطور حتى الأسبوع ٣٢, تتشكل بقعة الشبكية التي لها دور محوري ومهم بالرؤية بالاسبوع ٢٠ وتتشكل اللطخة بمركزها بالسبوع ٢٤
بين الأسبوع العشرين والأسبوع الثالث والعشرين تصبح قوقعة الأذن التي هي عضو حاسة السمع كاملة ويبلغ حجمها حجم قوقعة البالغ بداخل الأذن الداخلية الكاملة، ومن الآن فصاعداً فإن الجنين سيستجيب لعدد متزايد من الأصوات	في الشهر الثاني الرحمي يبدأ ظهور ألياف شفافة بين قاع الكوب البصري والسطح الخلفي للعدسة وهذه الألياف هي نواة الجسم الزجاجي، وفي الشهر الثالث الرحمي تكون حويصلة الإبصار قد أفرزت من المخ بواسطة ساق صغيرة تسمة السويقة البصرية
بنهاية الأسبوع 24 يظهر الجنين استجابة إجفال للأصوات المفاجئة الصاخبة، ويكون هذا مبكراً	بنهاية الأسبوع 24 تبدأ الأجفان بالتفتيح، وبنهاية الأسبوع 26 تبدأ العينان بإفراز

عند الجنين الأنثى، ويورد كثير من الباحثين أن الضوضاء الصاخبة قد تحدث ضررا على صحة الجنين وقد يكون لها آثار مباشرة عليه كازدياد سرعة دقات القلب وإفراط في البلع، وتغيرات سلوكية مفاجئة، وقد يكون للضوضاء الصاخبة آثار مستقبلة طويلة الأجل تتمثل بفقدان السمع.	الدموع، وتستجيب حلقات العين للضوء اعتباراً من الأسبوع 27 وهذه الاستجابة تنظم كمية الضوء التي تصل إلى الشبكية طوال الحياة.
بنهاية الأسبوع 28 يمكن للجنين أن يميز بين الأصوات ذات الحدة المرتفعة والمنخفضة. **المراجع** 1- “Essential Otolaryngology: head & Neck Surgery” المؤلف:Keat Jin Lee الطبعة رقم: 8 سنة: 2003 صفحة: 11 إلى 22 2-“Developmental neurocognition: speech and face processing in the first year” المؤلف : Bénédicte de Boysson-Bardies الطبعة رقم: 1سنة: 1993	في تمام الشهر السابع يكمل تكوين طبقات الشبكية ويكتمل تكوين العصب البصري **المراجع** 1- “A textbook of clinical ophthalmology” المؤلف R. Pitts Crick & Peng Tee Khaw: صفحة: 43 إلى 50 الطبعة رقم: 3 سنة: 2003 2- “The eye: basic sciences in practice” المؤلف : John V. Forrester الطبعة رقم: 2 سنة: 2002 صفحة: 99 إلى 113

وبذلك نتبين أن وظيفة السمع عند الجنين تصبح جاهزة للعمل والقيام بمهامها في الشهر الخامس من عمر الجنين، فيسمع أصوات حركات أمعاء ونبضات قلب أمه، وتتولد إشارات سمعية في أذنه الداخلية، أما العين فلا يتم تكامل طبقتها الشبكية الحساسة للضوء إلا بعد الأسبوع السابع والعشرين من الحمل، أي قريباً من سبعة أشهر من الحمل، وهذا كله يعني أن نضوج حاسة السمع وأعضائها تسبق بكثير نضوج حاسة البصر وأعضائها في الخلقة، وتقديم السمع على البصر في هذه الآية وشبيهاتها من آيات كتاب الله تعالى تدل لذلك – دلالة إشارة النص –، وهذا توجيه للآية قوي، وقرينة واقعية في اعتبار الواو لترتيب الخلق والتكوين.

وقد يعترض عليه بأن هذا الاستدلال يؤخذ عليه أن السياق لا يساعد عليه في الآية هنا وذلك لأن السمع والبصر لا يحصلان بدون العقل، وهو على هذا مخلوق قبلهما فلماذا تأخر ذكره عنهما إذن؟

أقول: يجاب على ذلك أننا ذكرنا بأن المنة بالحاسة والأثر لا بالعضو فقط، والطفل – وإن كان يسمع في بطن أمه – إلا أنه لا يعقل، وإن كان يرى بعد الولادة بزمن إلا أنه لا يعقل إلا بعد أشهر، فإثر العقل لا يحصل إلا بعد الولادة، كما يقول ابن جرير: (وإنما أعطاهم العلم والعقل بعد ما أخرجهم من بطون أمهاتهم)[1]، أي بعد تمام خلق السمع والبصر، وإن كانت محال التعقل مخلوقة ولكنها غير مدركَة إلا بعد الولادة، وعلى هذا تكون الواو بين هذه المذكورات للترتيب والله أعلم. ولذلك يقول أبو السعود: (على أن أثر ذلك الجعلِ لا يظهر قبل الإخراج أي جعل لكم هذه الأشياءَ آلاتٍ تحصّلون بها العلمَ والمعرفة بأن تُحِسوا بمشاعركم جزئياتِ الأشياء وتُدركوها بأفئدتكم وتتنبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرر الإحساسِ فيحصل لكم علومٌ بديهيةٌ تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلومِ الكسبية)[2]، ويقول ابن عاشور(ت1973م): (ثم ذكر بعدهما الأفئدة، أي العقل مقرّ الإدراك كلّه، فهو الذي تنقل إليه الحواس مدركاتِها، وهي العلم بالتصوّرات المفردة)[3].

ويصير المعنى على ذلك وجعل لكم السمع والبصر، وجعل لكم أيضاً آثار كمالهما من اتقاد الأفكار وحصول العلم بهما، فتحصُّل العلم والتعقل بالسمع والبصر حاصل بعد كمالهما والله أعلم.

الخاتمة

لقد تبين لنا من خلال هذا البحث أن المعلومات الطبية في تكون الجنين بينت لنا سبباً قوياً من أسباب اطراد تقديم السمع على الأبصار في القرآن الكريم، ورجحت هذه المعلومات الثابتة عند أهل التخصص – بعد التحقق منهم على ثبوتها – أن الواو بين السمع والأبصار للترتيب، وهذا الترتيب حمل إشارة لترتيب تكوين حاسة السمع على البصر في الجنين – إشارة النص –، ويقوي هذا الاستدلال مجيء هذا الترتيب في سياق الآيات التي ذكرت الحجة على وحدانية الله وقدرته في خلق الإنسان، وأما تأخير ذكر الفؤاد فلأن إدراكه وتعقله لا يحصل إلا بعد الولادة وإن كان وجوده من حيث الأصل قبل خلق السمع والبصر ليكون هذا البيان دليلاً على وحدانية الله وربانية القرآن، وبذلك ندرك إعجازاً بيانياً وعلمياً من إعجاز القرآن الكريم والله أعلم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

1 ــ ابن جرير: 266/17.

2 ــ أبو السعود 131/5.

3 ــ التحرير والتنوير 233/14.

خاتمة البحث:

الحمد لله تعالى الذي أعان على تتمة البحث، وأسأله أن يتم نعمته علينا بالقبول، وبعد:

بعد هذه الجولة في منهج التفسير الموضوعي في أبحاث التفسير والإعجاز العلمي؛ لا بد من تسجيل أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: أهم النتائج:

يغلب على المؤلفات في التفسير والإعجاز العلمي بطريقة التفسير الموضوعي الخلل من جانبين أو من أحدهما: إما من الجانب العلمي الشرعي بطريقة فهم النصوص والاستدلال والتعامل مع كتب التفسير، وهذا يعود لعدم تخصص الكاتب بالعلوم الشرعية وخاصة منها التفسير، أو من جهة الخلل العلمي بتوظيف العلوم الكونية واختيار المعلومة الصحيحة، وهذا يعود لعدم تخصص الكاتب بالعلم الكوني للقضية المبحوث فيها.

يمر التفسير الموضوعي في أبحاث التفسير والإعجاز العلمي بمراحل أساسية وهي

أـ اختيار الموضوع: وينبغي أن يكون الموضوع له وجود في القرآن الكريم، وأن يكون الباحث متمكنا في موضوعه ومقتنعا به، ويضع له عنواناً مناسباً.

ب ـ وضع خطة منهجية للبحث.

ج ـ الاستقراء والجمع: بسبر الآيات المتعلقة بالقضية المبحوثة، وهذا الاستقراء على نوعين إما تام وإما غير تام، وغالباً ما يستعمل غير التام في المقالات العلمية المختصرة حيث يقتصر فيها على أهم الآيات وأشملها للتدليل على جزئية معينة.

د ـ ترتيب الآيات وتصنيفها: ولا يشترط في الترتيب أن يكون على المكي والمدني وإنما على توافق المواضيع الكلية والجزئية ولا مانع من تكرار الآية إن كانت تحمل أكثر من موضوع في ضمنها.

هـ ـ البحث التفسيري: وهو لب البحث العلمي الذي ينبغي أن يوليه الباحث اهتماماً بالغاً، ويتمثل هذا البحث في أمرين: قراءة تفسيرية تحليلية للآيات، ثم صياغة نهائية للبحث العلمي، ويجب أن يراعي الباحث في هذه المرحلة المسائل الآتية:

*ـ الاهتمام بأسباب النزول إن وجد لأنه يساعد على فهم المعنى.

*ـ الاهتمام باللغة العربية وعلومها بما يخدم التفسير وبيان وجه الدلالة والاستدلال.

*ـ الاهتمام بالسياق القرآني لأنه قد يخصص العام ويرشد لتوضيح المجملات وحل المشكلات ويوجه الدلالات، والسياق قسمان سياق عام يتمثل بمعرفة مقاصد القرآن، وسياق خاص يتمثل بمعرفة مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها ومناسبة الجمل والمفردات لبعضها.

*ـ الاهتمام بالمنقول، أي بما ورد في الآية من تفسير نبوي وآثار السلف الصالح في التفسير، وأما منهج التعامل معها فهو باختيار ما يناسب البحث من ذلك والاقتصار على ما يوضح المعنى، وينبغي الحذر من الإسرائيليات فليست من طرق التفسير وخاصة في مجال التفسير العلمي للقرآن.

3ـ منهج التعامل مع العلوم الكونية: أما في التفسير العلمي يجوز الاستشهاد بالنظريات العلمية وبالحقائق من باب أولى، أما في الإعجاز العلمي فلا يجوز الاستشهاد إلا بالحقائق العلمية الثابتة، وينبغي أن يقتصر الباحث على المعلومات التي تتعلق ببحثه دون تفصيل لا يحتاج له البحث، وأن تكون مصادره العلمية موثقة من أحدث المصادر علمية متخصصة.

ولا يجوز الاستشهاد بالفرضيات والتصورات وإن دخلت في الدلالة القرآنية بل ينبغي الاقتصار على الدلالة اللغوية فقط لأن الحجة فيها.

4ـ أبحاث التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ذات طابع تخصصي وجماعي، فيجب على المفسر المتخصص أن يستعين بأهل التخصص في القضية المبحوث فيها ويجب على المتخصص في العلوم الكونية أن يرجع لأهل التفسير والاستنباط في توجيه الاستدلال وتصحيح مسار البحث.

ثانياً: التوصيات:

1. تشجيع الأبحاث العلمية الجادة والمتخصصة في التفسير والإعجاز العلمي ودعمها ومتابعتها وخاصة منها التي تعتني بالتنظير والتطبيق.
2. إنشاء مركز أبحاث متكامل من لجان علمية متخصصة في العلوم الشرعية والعلوم الكونية المختلفة لدراسة موضوعات القرآن الكريم في القضايا الكونية وفق منهج التفسير الموضوعي تكون القضايا القرآنية هي الأصل في الدراسة وفق ضوابط التفسير وقواعده، ويستنبط بذلك من القرآن قضايا علمية تنهض بالأمة من جديد.
3. تقرير مادة ضوابط التفسير والإعجاز العلمي في الكليات والمعاهد الشرعية، تدرس لضبط الفوضى العلمية في أبحاث التفسير والإعجاز العلمي.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع:

1- اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر شريف، محمد إبراهيم ، دار التراث، القاهرة، أولى 1982م.
2- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق مكتب الدراسات القرآنية، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف 1426هـ.
3- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، ط دار إحياء التراث.
4- إشارات الإعجاز في مظان المجاز النورسي، سعيد، ط: دار المحراب تركيا.
5- الإشارات العلمية في القرآن الكريم ، الشيخ محمد وفا الأميري طباعة دار الرضوان حلب الطبعة الثانية 1401هـ.
6- البحر المحيط في أصول الفقه الزركشي بدر الدين محمد بن بهادر، تحقيق د. محمد محمد تامر ط دار الكتب العلمية، أولى 1421هـ
7- البرهان في علوم القرآن الزركشي، محمد بن عبد الله ، تحقيق المرعشلي، ط دار المعرفة.
8- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، ط المكتبة العلمية، بيروت.
9- التحرير والتنوير ابن عاشور، محمد الطاهر ، ط الدار التونسية للنشر، تونس 1984.
10- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، محمد بن إسماعيل ، تحقيق: سامي محمد سلامة، ط دار طيبة 1999.
11- التفسير القرآني للقرآن الخطيب، د. عبد الكريم، ط دار الفكر العربي، القاهرة.
12- التفسير الكبير. الرازي ط دار إحياء التراث العربي.
13- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم د. أحمد السيد الكومي، د. محمد أحمد يوسف القاسم ط مصر 1402هـ.
14- تكوين الجنين د. شفيق عبد الملك، ، ط المطبعة التجارية الحديثة، مصر، الثانية 1976.
15- تنبيه العقول الإنسانية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرانية محمد بخيت المطيعي، تقديم:عبد الرحمن عيسى ط مكتبة أحمد ربيع، حلب 1969م.
16- جامع البيان في تفسير القرآن الطبري محمد بن جرير تحقيق أحمد شاكر، ط الرسالة 2000م.
17- جامع الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
18- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: سمير البخاري ط دار عالم الكتب السعودية 2003
19- الجراد في القرآن الكريم والعلم الحديث د.كارم السيد غنيم، د.عبد العظيم محمد الجمال، ط دار الصحوة مصر، 1988م.
20- الركام المزني والظواهر الجوية في القرآن الكريم لصلاح الدين عارف جنيد، ط مطبعة الزرعي دمشق أولى 1999م.
21- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي تحقيق محمد عبد الله، السعيد زغلول، ط دار الفكر بيروت، أولى 1407هـ.
22- السماء في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ط: دار المعرفة، ثانية 2005م.

23 – الطب في القرآن، د.محمد جميل الحبال، د. وميض العمري ط دار النفائس، بيروت، الأولى 1997م.

24 – العلوم الفلكية في القرآن الكريم، د. سيد وقار أحمد حسيني، ط دار طلاس سوريا 1996م.

25 – العلوم في القرآن الكريم الدكتور محمد جميل الحبال الدكتور مقداد مرعي الجواري طباعة دار النفائس، بيروت أولى 1998م.

26 – قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل، الحبنكة، الشيخ عبد الرحمن دار القلم دمشق، الثالثة 2004.

27 – لسان العرب ابن منظور، محمد بن مكرم، ط دار صادر بيروت، أولى.

28 – ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيأة الجديدة القويمة البرهان الآلوسي، محمود شكري تحقيق: زهير شاويش، ط المكتب الإسلامي، أولى 1960.

29 – مباحث في التفسير الموضوعي د.مصطفى مسلم، ط دار القلم دمشق الأولى 1420هـ.

30 – المدخل إلى التفسير الموضوعي، فتح الله السعيد، د. عبد الستار، ط دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، الثانية، 1991م.

31 – معالم التنزيل البغوي، الحسين بن مسعود تحقيق: محمد النمر، عثمان ضيمرية، سليمان الحرش، ط دار طيبة للنشر، الرابعة 1417هـ.

32 – المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، تحقيق صفوان داودي، ط دار القلم 1412 هـ دمشق.

33 – المفهوم العلمي لجبال في القرآن الكريم ،د. زغلول النجار، ط دار الشروق الدولية مصر، أولى 2002م.

34 – من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في ضوء الدراسات الجغرافية الفلكية والطبيعية، د.حسن أبو العينين ،ط مكتبة العبيكان السعودية، أولى 1996م.

35 – المنجد في اللغة والأعلام ط: دار المشرق بيروت 1992.

36 – منهج التفسير العلمي وتطبيقاته في سورة النحل، د. مرهف عبد الجبارسقا، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن من جامعة أم درمان عام 2008، مطبوع على الحاسوب.

37 – منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، دراسة نقدية، رشواني، د. سامر عبد الرحمن، ط: دار الملتقى حلب الأولى 2009م.

38 – الموافقات الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي ، تحقيق: مشهور آل سليمان، ط دار ابن عفان لأولى1417هـ.

39 – المياه في القرآن، منهاج لتفسير الإشارات العلمية في الآيات القرآنية أحمد عامر الدليمي ط دار النفائس، بيروت أولى 2002م.

40 – النبات في القرآن الكريم د. زغلول النجار، ط مكتبة الشروق الدولية مصر، ثانية 2005.

ثانياً: المراجع الطبية الأجنبية:

1- “Essential Otolaryngology: head & Neck Surgery” ،Keat Jin Lee:8 -2003

2- ‘‘Developmental neurocognition: speech and face processing in the first year” Bénédicte de Boysson-Bardies : 1993

3- A textbook of clinical ophthalmology” R. Pitts Crick & Peng Tee Khaw: : 3- 2003

4- “The eye: basic sciences in practice” John V. Forrester :2- 2002

ثالثاً: مقالات علمية ودوريات:

1- أبحاث الإعجاز العلمي ذات طبيعة متخصصة وعمل جماعي) مقال نشر في مجلة الحقيقة الصادرة عن الهيئة العالمية للإعجاز العلمي مكة المكرمة التابعة لرابطة العالم الإسلامي العدد الثاني عشر، ذي القعدة 1430 هـ

2- السياق عند الأصوليين، المصطلح والمفهوم د. فاطمة بوسلامة، مجلة الإحياء، العدد 25 جمادى الثاني 1428هـ.

3- دلالات السياق القرآنية على وجود الثقوب السوداء، سعيد حمود اليامي، مجلة الإعجاز العلمي صـ 23، العدد 23، رجب1423هـ

رابعاً: مواقع على الشبكة العنكبوتية:

http://www.ehd.org

http://www.ct4women.com